سر النملة

تأليف

هاشم الكمالى

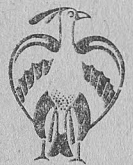

مكتبة النشر النمرة المتسلسلة : أ — ١٠

الطبعة الاولى ١٩٥٤

الطابعون : مطبعة التمدن بالخرطوم

أكثر مايدهشنى يا أبتى اهتمامك بالأشياء الغريبة التافهة ، فى حين أنك تزعم أنها دليل المعرفة فى الحياة .

قال الأب (عجبا يابنى . انك قد مللت حتى المألوف من الحياة ، ولم تعد تفكر فى أصول هذا المألوف ؟ أمض فى سبيلك .

فوجم الطفل لحظات قصاراً ، ولم يفهم من حديث أبيه الا أنه لابد من متابعة هذه النملة التى كلفه أباه بتعقبها فى شىء من الاهتمام ، ليحفظ كل حركة تقوم بها فيقصها على أبيه ، اذا ماعاد من عمله . ثم مضى فى سبيله يتعقب ويرصد ، ولم يدع النملة الا بعد أن قفلت راجعة الى مسكنها فتوارت . فلما عاد أبوه من عمله ، أقبل عليه متحيراً ، وقال فى صوت خافت متردد :

— انى يا أبتى كخادم الفقيه ، قد أديت ما أمرت به ولم الاحظ جديداً ، فقد عاشت هذه النملة ، ومئات أخرى من جنسها تحت اقدامنا دون أن نحس لها أثرا ، مادام لم يصلنا منها أذى . ولكنكم معشر المدرسين قد

جبلتم على تنويع أساليب الارشاد وتفهيم الناس ، وحملهم على الدرس والتحصيل ، متى تهيأت لكم الفرص لذلك .

فضحك أبوه ضحكة عريضة وقال . (أتنقم على نفسك أنك ابن مدرس ؟ أولاتريد أن تجرب فى هذه الحياة ؟) . (أما يكفينى أن أسمع منك ما أفدت من تجارب وقراءات؟) هذا يابنى تواكل لايليق بشخص طموح، فليس أحب الى الرجل الحر فى هذه الدنيا من أن يسعى ماأستطاع ويجهد نفسه فى مايوكل اليه من عمل . وقد أخترت لك متابعة النملة لتتعرف الى نوع من المخلوقات التى تحتقرها، لتتعلم منها المثابرة والجد والتفانى فى أداء الواجب بأمانة دون أن يقوم عليها رقيب ؟ .

وظل الابن فى صمته العميق مطرقاً الى الارض ، ثم رفع رأسه الى أبيه وقال :ـ

ـ (الآن قد فهمت ماتقصد) .

ـ وماذا أقصد ؟

ـ (اذا أنا لم أخطىء فهمك ، فيمكننى أن أقول ان قصدك أن تجعل من حياة النملة مثلا يحتذى فى المثابرة والاجتهاد وعدم التواكل) .

ـ هذا صحيح يابنى ، فاذا استطعت أن ترعى النمل رعاية دقيقة ، فستتعلم منها دروسا قيمة فى الحياة ؟

ـ قال الابن لأبيه : وكيف السبيل الى تلك الرعاية الدقيقة ياأبتى ؟

فأجابه الأب :ـ السبيل اليها ميسور لمن يريد أن يعمل ، ويكلف نفسه بعض المشاق ويصبر عليها .

ـ من الممكن أن يعمل الأنسان ، ويصبر على ما يعمل اذا كان مايعمله محددا واضحا . أما أن يكلف الشخص برعاية حشرة صغيرة فى جحرها ، فهذا قريب من المستحيل ؟

قال الأب :ـ مهلا يابنى . ان مراقبة النمل على سطح الأرض لايؤدى الى الغرض المطلوب ، ولاينبغى لك أن تدخل فى جحر النمل لتعرف نوع الحياة التى تحياها ولكن يمكنك أن تربى النمل فى منزلك كما تربى الحيوانات الأخرى ، لتراقبها مراقبة دقيقة .

ـ وهل من الممكن تربية النمل ، وما الفائدة التى تعود من ذلك ؟

فنظر اليه الأب نظرة طويلة ، وقال:ـ ليس فى هذا الوجود مايصح أن يقال عنه انه غير ممكن ، أما فائدة تربية النمل لمن لايعرف كيف يثابر فى هذه الحياة فعظيمة ممتعة ، تفوق المتعة التى يسعى اليها أمثالك فى ميادين اللعب

ودور السينما ، فهل تقدر متعة الكرة والسينما ؟

— كيف لا أقدرها وأحبها ؟

— اذن ستجد فى حياة النمل زيادة على هذه المتعة، درساً تعرف منه كيف تكد فى الحياة للحصول على الرزق، أكثر مما يكد الكثير من أبناء البشر ، وبوسائل اذا تدبرتها وجدتها تفوق وسائلك فى تحصيل الدرس .

— اذن . اشرح لى طريقة تربيتها حتى اهتدى الى ما شوقتنى اليه .

قال الأب وقد اطمأن الى أنه قد ولد فى نفس ابنه الرغبة لما يريد : ان مراقبة النمل لاتحتاج الى تعب كبير فخذ قطعتين من الزجاج الذى نستعمله فى النوافذ ، وأربط أطراف كل منهما بقطع من الخشب ربطاً محكما ، ولاتدع فيها غير منفذ بسيط فى احدى زوايا الزجاجة ، يستطيع أن يخرج منه النمل ويدخل ، ولاتنس أن تكون قطع الخشب من النوع الرفيع ، وحاذر أن تترك فراغاً بين قطع الخشب والزجاج ، يختبىء وراءه النمل فلا يرى . فقال الابن :— ان هذا أمر سهل بسيط . سأحضر قطع الزجاج وأحيط احداهما بقطع الخشب احاطة تامة ، بحيث لا أدع مجالا للنمل يختبىء فيه ، فاذا عدت من عملك ستجدنى قد أنجزت ذلك .

فسر الأب من استعداد ابنه وانصرف الى عمله ، وظل الابن يعد ماوصفه له أبوه فى شىء من الاهتمام . فلما عاد أبوه من عمله وجده قد أعد الزجاجتين ، وربط على أطرافها قطع الخشب ربطا محكما . فهنأه أبوه على دقة عمله ثم أمره باحضار تربة رملية ، لينثرها على لوح الزجاج وقطع الخشب ثم أمره برشها رشا خفيفا لطيفا وتسويتها ، بحيث تنطبق عليها قطعة الزجاج الاخرى انطباقا كلياً لامنفذ فيه للنمل ، غير الثغرة التى تركت لتكون كالباب ، ثم أطبق الأب قطعة الزجاج على الأخرى ، وضغطها ضغطاً لطيفا حتى قفلت كل الفتحات وقال لابنه :—

— الآن يصح أن أقول لك انك قد أعددت مسكنا جميلا لايختلف كثيراً عن مساكن النمل التى تعدها بنفسها؟

— هذا جميل يا أبتى . ولكن كيف نضمن بقاء النمل فى هذا البيت ، دون أن يهرب فيتخذ لنفسه مسكنا آخر .

— انها ملاحظة جميلة ، وعلينا أن نحتاط لذلك احتياطا كاملا .

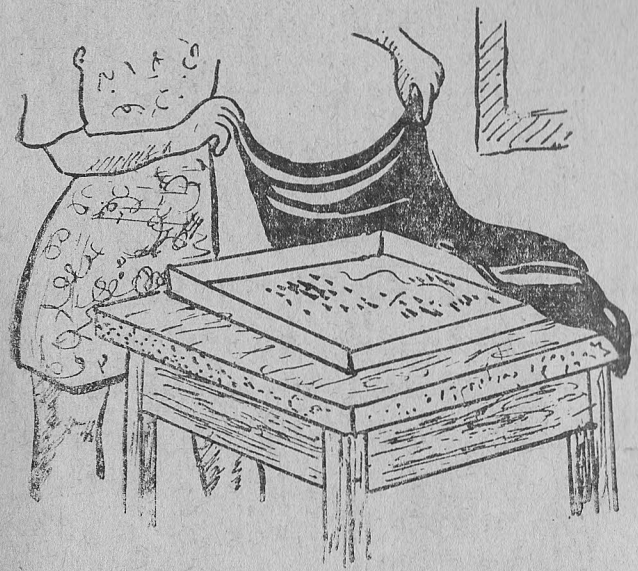

— ولكن كيف نحتاط لذلك ؟

— سأرشدك الى طريقتين للاحتياط ، وأترك لك اختيار أحسنهما وأكثرهما ضماناً .

(فالطريقة الأولى ان تحضر طستا وتملأه ماء ، ثم تضع مسكن النمل الذى صنعته على قوائم داخل الطست بحيث يصبح جزيرة وسط ماء) .

(والطريقة الثانية أن تستغنى عن تربيزة مذاكرتك وتضع أرجلها الأربعة على علب المربة المملوءة ماء، ثم تضع عليها مسكن النمل) .

— حسنا ، سأفعل ذلك وأرجو أن يكون فيه الضمان الكافى لبقاء النمل فى مسكنه الجديد.

أعد الابن مسكن النمل أعداداً جميلا ، وسر الأب بما ولده فى نفس ابنه من رغبة صادقة للتجربة ، ولم يبق بعد ذلك الا أن يسعى فى ادخال النمل فيه ، ودارت فى رأس الابن افكار كثيرة عن الوسيلة التى يتبعها فى تمهيد السبيل للنمل ليعيش فى هذا المسكن الجميل ، ولكنه لم يهتد الى الطريقة الصحيحة التى تكفل له ادخال عدد كبير من النمل وظل يرغب مجىء أبيه من عمله ، فلما حضر اليه من عمله قص عليه كل ما فكر فيه .

فقال له الأب :—

— اذا أنا لم أساعدك على هذه الصعوبة ، فهل تجرب أنت بنفسك احدى هذه الافكار التى قلتها لى ؟

— انى يا أبتى قد جربت كل ما فكرت فيه، وجعلت أقبض نملة بعد أخرى فأحضرها الى المنزل ، ولكن الذى يؤسفنى أنها تصل مغمى عليها أوتكاد تموت؟ ولن اهتدى اذاً الى حل . فضحك الأب وقال :—

— ان السبب فى فشلك بسيط جداً فانك تنسى ماتعلمته من طبائع النمل .

— ليست لى معرفة بطبائع النمل .
— انك تجهل ماتعرف .
— أين تهتدى للنمل اذا ما بحثت عنه ؟
— فى الأماكن الرطبة وتحت الأزيار .
— اذن فأنت تعرف أميز طبائع النمل ، ويمكنك أن تحضر الى مسكنك قرية كاملة من قرى النمل ، دون أن تضطرها الى الدخول فيه .

— وكيف يكون ذلك ؟
— ذلك سهل يسير . ارجع الى منزلك ورشه رشا لطيفا خفيفا ، ثم اذهب الى الاماكن الرطبة ، فأحضر قرية كاملة من قرى النمل ، وضعها على ورقة كبيرة بما معها من تراب .

قوة النمل الطبيعية

فذهب الابن يبحث عن قرية كبيرة للنمل ، فلما وجدها اقتلعها من أطرافها ووضعها على لوحة كبيرة، وأتى

بها الى أبيه الذى كان فى انتظاره بالقرب من المسكن الذى سبق ان أعده للنمل فأمره الأب بوضع اللوحة بالقرب من المسكن ، فلما وضعها الابن ، كما أمر ، لم يسمع من أبيه شيئاً وطال به الانتظار ، ولم يدر ماينوى الأب أن يعمله بعد ذلك ، فضاق بالصمت وقال لأبيه :—

— أرجو أن أكون قد وفقت فى حمل قرية النمل كما تريد ، وأى توفيق ؟ ولكن أراك صامتاً كأنك تتفقدها فلا تجد فيها ماتريد ، وقد ضقت بهذا الصمت الذى لا أعرف له سبباً .

— هون على نفسك يابنى . اننى قد شغلت بما يبدو على النمل من انزعاج شديد . ألا تراه وقد بدأ يثور فى حركة جنونية .

— أرى ذلك وأحسب أن التراب قد انهال عليه فبدأ يزيح عن نفسه ذراته .

— كلا فأنه قد شعر بأن قريته القديمة قد بدأت تجف تدريجياً وليس أقسى على النمل من أن يعيش فى الأماكن الجافة ، ولذا تراه يثور ويموج باحثا عن مكان رطب ليبنى فيه مستعمرة جديدة ، فأذا لم يجد هذا المكان

الجديد ، فأنه يظل يجول فى حركة مستمرة لاتفتر ، يجرى وراء كل شيء ويلمس كل شيء حتى يجد منفذاً أويموت ولكنه سيجد المنفذ الذى تركته له فى مسكنك ، وعند ذلك ستشهد عجباً .

قال الأب ذلك وأنصرف عن ابنه يراقب النمل الذى طاف مرات حول المسكن الجديد ، قبل أن يهتدى الى المدخل ، وظل الابن واقفا يرقب مع أبيه حركة النمل المستمرة ، فلما ولجت أول نملة المسكن صاح الابن صيحة انتصار واعجاب وقال :ـ

ـ انه لمشهد ممتع حقاً يا أبتى .

ـ وأمتع منه أن ترى الطريقة التى يبنى بها قريته الجديدة داخل بيتك .

قدرة النمل

وانصرف الأب بعد أن أهتدى النمل الى المدخل ، وظل الابن يراقب النمل فى ذهابه وأيابه بين القرية المكسرة والمسكن الجديد حتى فرغ من نقل صغاره وبيضه ، وأستقر استقراراً كاملا داخل المسكن الجديد ، وبعدئذ عاد الى بيته مسرورا مما رأى ، ينتظر عودة أبيه ليقص عليه مارأى ويستمع منه للمزيد من الارشاد . فلما حضر الأب وسأل

ابنه عما فعل نمله ، صعب عليه الكلام من شدة الفرح حتى كاد لايبين ، ثم هدأ وقال :ـ

ان النملة لمخلوق غريب يا أبتى ، وماكنت لأعرف أن الله قد أودع فيها مقدرة تفوق مقدرة كثير من البشر مع احتقارنا لها وتهويننا لشأنها .

قال الأب وقد أنشرح صدره بما سرده ابنه(وأى مقدرة تلك التى أعجبتك) ؟

ـ ما أعجبنى كثير لايعد ، وأبرزها الطريقة التى تفتت بها النملة الصغيرة كتل الرمل أوالتربة الى الحجم الذى تستطيع حمله فى فمها بمقدار لايستطيع الانسان أن يتصور ضآلته ، ولايمكن أن تصدق ان مثل هذه الذرة الصغيرة ستصبح فى فترة بسيطة كوماً كبيراً ظاهراً .

ـ ألا تعلم أن النملة لاتعمل منفردة ، ولكنها تشتغل فى جماعات كبيرة ولغرض مشترك ، فى سرعة

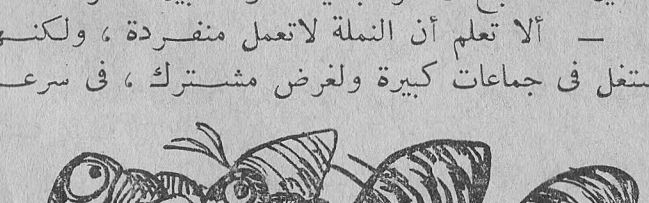

مدهشة .

— هذا ما أعجبنى أيضا ؟ وأعجبنى أيضا أن كل جماعة منه تعمل طريقا معينا يؤدى الى نفس الغاية التى تهدف اليها كل نملة ، حتى لاتزدحم الطرق ، فيتعطل السير ويقل العمل . وكانت كل جماعة منه تقوم بعمل محدد ، فكنت أرى البعض يحمل البيض والبعض الآخر يحمل الصغار ، والبعض ينقل ذرات الرمل ، ولما فرغ النمل من اعداد القرية الجديدة ، اجتمع فى حشد عظيم يحف بنملة كبيرة ، لينقلها من المسكن المتهدم الى المقر الجديد .

— أتدرى يابنى هذه النملة الكبيرة ؟

— أظنها ملكة النمل يا أبتى ان كان للنمل ملكة .

— انها ملكة النمل وستعرف عنها فيما بعد ، فأمض الآن فى سبيلك وأبذل كل ماتستطيع من جهد لتيسير سبل الراحة لضيفك الجديد فى مسكنه الذى أستضفته فيه .

— وهل يحتاج النمل الى رعاية بعد ذلك ليعيش عيشة هنيئة ؟

— طبعا فأن له مزاجه الخاص به ، ولايهنأ اذا انحرف هذا المزاج .

— قد لاأعرف شيئا عن مزاجه فأرجو أن ترشدنى الى ذلك .

— ان النمل يبغض الضوء ، ولابد من أن تغطى الزجاجة العليا بكساء أسود ، لتحفظه فى ظلام تام ، ولا تكشفه الا عند ماتريد مشاهدته ، وحتى فى هذه الحالة ينبغى أن لا يطول كشفه ، فأن طال تعرضه للضوء ، فأنك ستلاحظ عليه بوادر الانزعاج ، وترى فى القرية حركة جماعية للبحث عن الأماكن المظلمة التى يمكنه أن يوارى فيها بيضه وصغاره .

— وهل كل هذا ما يحتاج اليه ؟

— كلا . فعليك أن تهىء له سبل اطعامه .

— وكيف أعرف ما يحتاج اليه من طعام ؟

— يجدر بك أن تقدم له كل صنوف الطعام لتعرف مايلائم مزاجه ، وهو يحب العسل والاشياء الحلوة ، كما يحب بعض الحشرات وقطع اللحم النتن .

ولاتنسى أن ترطب التربة التى يسكنها كلما جفت ، ولاتلق حول الجزيرة قطع الورق والخشب ، فتتخذها معبراً تخرج عليه من جزيرتك ، ولاترى له أثراً .

تكوين النمل وطرق حياته

أعد الابن القرية الجديدة وزودها بكل ما يحتاج اليه النمل من طعام وماء ، وظل يراقب النمل فى حركته المستمرة لتعبيد الطرق، وبناء المساكن، والعناية بأمر صغاره وكان كلما أطال فيه النظر كلما أحس بدهشة واعجاب. فكان حينما يرى النملة لايعرف أهى تزحف على بطنها ، أم تجرى على أقدامها ، أم تطير طيراناً لاتشترك معها بعض الحيوانات ، كما كان يحار فى تركيبها الجسمانى الذى لم يثر أى أهتمام فى نفسه عندما كان يراها من بعد ، فلما عاد أبوه الى المنزل ، قص عليه فى شىء من الدهشة بعض ما شاهد ، فابتسم الأب ابتسامة عريضة ثم قال :ـ

ـ ان أطلت النظر فى قرية النمل انتقلت من تسجيل المظاهر العادية الى البحث عن تكوين النمل وطرق حياته ، وهذه بشرى عظيمة تشف عن مبلغ اهتمامك بهذا الموضوع الذى وكل اليك .

فأطرق الابن حياء من هذا الثناء الذى غمره به أبوه فى غير ماتحفظ ولااحتياط ، وحاول أن يقاطعه بسؤال حتى لايخجل تواضعه ، ولكن الاب أصر على الحديث قائلا :ـ

ـ اذن فالأحسن أن نذهب سويا الى حيث المسكن الجديد فتقص على بعض ما تشاهد لأفسره لك .

ثم سار الأب وابنه خلفه الى أن بلغا الجزيرة الصغيرة وهنالك بدأ الأب يبين لابنه التركيب الجسمانى للنملة المكون من الرأس ، وعليه مايسميان بقرنى الحشرة ، والجزئين الآخرين المكون منهما الجسم وهما (التجويف الصدرى) والبطن وما يصحب بعض أنواع النمل من أجنحة فترة من الزمن ، ثم تتلاشى. وقال : ان النمل يمشى على ست أرجل كما تمشى سائر الحشرات . وهذه الارجل الست متصلة بالتجويف الصدرى . أما ماتراه يتحرك أمامها ـ كتحرك بندول الساعة ـ فهما قرناها وموضع الحساسية منها ، فبهما تعانق صاحباتها من النمل وبهما تلمس الاشياء فى حركتها السريعة

ـ أهذا كل ما يشترك فيه الحشرات ؟

ـ أظننى نسيت أن أذكر أن لبعض أنواعها أجنحة تطير بها .

أنصرف الأب وابنه يتبعه الى المنزل وقضيا جزءاً من الوقت يتحدثان حول مائدة الشاى ، ثم خرج الأب لبعض شئونه ، وظل الابن يتردد بين قرية النمل وبقية أشغاله الاخرى ، ومايكاد يجد متسعا من وقته الا وأسرع لقرية النمل يتابع فيها مشاهداته ، التى بدأت تتجلى له صوراً حية للون من الحياة الغريبة ، التى كان يحسبها فى أول الامر شيئاً تافهاً لايستحق الاعتبار .

فلما عاد أبوه الى المنزل ، وأخذ قسطه من الراحة أقبل عليه الابن كعادته يقص عليه ماشاهد وما خبر من مراقباته للنمل فقال الابن لأبيه :ـ

ـ لاحظت يا أبتى أن النمل يحمل ذرات بيضاء صغيرة فى فمه ، لاتزيد على حجم رأس الابرة ، وأظنها الطعام الذى وضعته لها وقد أحالته بافراز من فيها الى لون ضارب للبياض .

فضحك الوالد ضحكة رزينة وقال فى صوت هادىء متزن : كلا يابنى . ليس هذا طعامها ، انما هو بيضها ومن عادة النمل أن يحمله دائماً الى أشد الاماكن ظلاماً مبالغة فى المحافظة عليه .

فبهت الولد لحظات ، ثم رفع رأسه الى والده وقال:

ـ ان القرية قد غدت غريبة بالنسبة لى ، وانى لأدعوك الى زيارتها لترى ما فيها من غرابة فترشدنى الى معرفتها لأنى لم أعد أفقه فيها شيئا منذ الآن .

صغار النمل

فنهض مسرعا مع ابنه فلما وصلا القرية ، تناول الأب الحديث وبدأ يشرح لابنه مبالغة النمل فى القيام على صغاره وبيضه ، فألتفت الابن الى أبيه يسأله عن صغار النمل وأين هو، لأنه لايكاد يرى مايصح أن يسمى صغار النمل، فقال له الأب :ـ ألا ترى هذا الشىء الصغير ؟ وأشار الى قطعة صغيرة لاتكاد تراها العين بوضوح : انها الديدان التى تخرج من النمل ، لا أرجل لها ولاقوة تساعدها على الحركة ، فهى عاجزة كل العجز .

ـ ماهذا النمل الذى حولها ، كأنها قطعة طعام ؟

ـ هذا مايسمونه (المربيات) وعليها أن تتعهد الديدان الصغيرة بالغذاء والرعاية بالنهار ، حيث تتركها معرضة للدفء ، فاذا ما أقبل الليل حملتها الى مكان دافىء فى القرية ، حتى لاتتعرض للبرد .

ـ ان هذا لأمر عجاب ، ثم ماذا بعد ذلك ؟

ـ فأذا كبرت هذه الديدان ، دخلت فى طور التغيير اذ يتحول جسمها الى قميص أبيض يكسو الدودة وتسمى

النملة فى داخل هذا القميص (شرنقة) .

— وهل تعيش الشرنقة بداخل هذا القميص ؟ طبعا تعيش حية بداخل هذا القميص مع أنها لاتتحرك ولا تأكل مدة تكتمل بعدها وتخرج أرجلها من جسدها .

— كيف تخرج الشرنقة من هذا القميص ؟

— تخرج الشرنقة عندما تصير نملة مكتملة فى التركيب الجسمانى ، وفى أستطاعتها أن تخرق القميص لتحدث فيه ثغرة ، ثم تأتى (المربية) فتساعدها على ازاحته وبعد أن تخرج النملة من هذا القميص يكتمل نموها الجسمانى ، فلا تزيد فى حجمها شيئا ، وتستعد لتأخذمكانها فى أسرة النمل لتؤدى ماعليها من واجبات .

وماكاد الاب يفرغ من حديثه حتى شكره ابنه على ما أسداه له من صنع ، وما أمتعه به من حديث عن شىءغدا من أحب الاشياء اليه . ولكن الأب لم يرد على هذا الشكر بما يستحقه ، بل عمد الى اساليب المدرسين عندمايريدون ان يتأكدوا من أن الدرس قد كان ناجحاً مؤثراً فأبتدر ابنه بالسؤال الآتى :—

— هل تستطيع أن تلخص لى حياة النمل ؟

فأجاب الابن :— طبعا يا أبتى ، وبكل ايجاز ، تضع النملة البيض فتتركه فى رعاية المربيات ، وتتعهده هذه

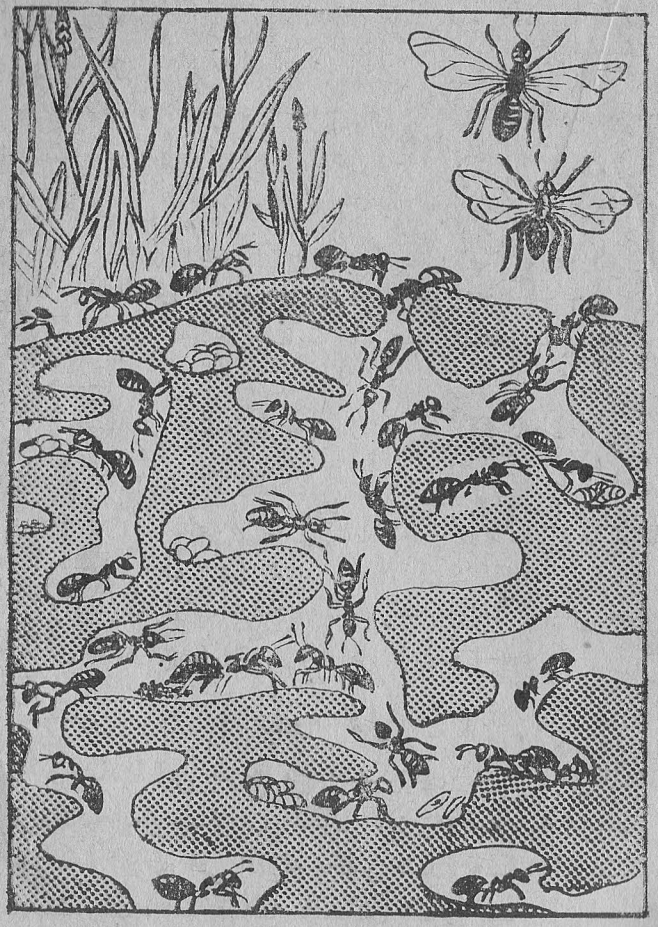

بالرعاية والعناية الى أن يفقس ، فلما يصير ديدانا تقوم على اطعامه والمحافظة عليه من الحر والبرد ، حتى يصير شرنقة . وفى هذا الطور يستغنى عن الاكل ، وتخف مسئولية المربيات ، ثم يتطور بعد ذلك الى أن تكتمل اعضاؤه فيخرج بمعاونة المربية نملة مكتملة تأخذ مكانها من المستعمرة .

— هذا جميل حقا يابنى . فقد عرفت أدق مراحل الحياة عند النمل ، وأرجو أن تحدثنى بعد ذلك عن حياة هذه النملة بعد أن خرجت من البيضة لتتخذ مكانها من مجموعتها .

— أليس ذلك ما تحدثنا عنه من قبل ، عند بدء العمل فى المسكن الجديد ؟

— كلا يابنى ليس هذا ما أقصد ، وانما أقصد كيف يعيش النمل سوياً .

وأنصرف الأب وتبعه الابن يفكر فيما سيلقى من نجاح فى هذه المهمة التى تبدو له غامضة مبهمة .

بيض النمل

وماكاد الابن يفرغ من التفكير فى تدرج الحياة عند النمل الا وجعل يفكر فى المكان الذى يوضع فيه البيض ورجع مرة اخرى الى القرية يحدق فيها ، ولكنه لم يهتد فلما حضر أبوه أسرع اليه بالسؤال التالى :—

— ان حديثك يا أبتى عن تحول البيضة الى نملة قد أنسانى أن أسألك عن الموضع الذى يوضع فيه هذا البيض ، وقد بحثت كل البحث لاتحصل على مجموعة منه غير تلك التى تحملها المربيات الفينة بعد الأخرى فلم أجده

ففكر الآب ثم قال :— ان المعروف عن النمل أنه لايضع بيضه الا على غذاء تطعم منه الديدان حتى تكبر .

— أتضعها على العسل ، أوالطعام الحلو الذى تحبه؟

— كلا . ولكنها تضع بيضها على نوع خاص من أوراق الشجر .

— فاذا لم تجد هذا النوع من الشجر فأين تضعه؟

— تضعه على قطعة من اللحم النتن . واذا لم يتيسر لها وجودها لاتنفك تبحث عنها حتى تجدها .

— واذا لم تجد قطعة اللحم فماذا تصنع ؟

— هذا احتمال بعيد ، ولكنها اذا تأكدت من أنها لم تجد قطعة اللحم هذه . فأنها تضعه على الماء ، حيث تتوفر عناصر الغذاء لديدانها ، واذا لم تجد كل ذلك لاتضع بيضها على الاطلاق .

— هذا عجيب يا أبتى . أوتحضن النملة بيضها كما يفعل سائر الحيوان ؟

— كلا . فأن الام عندما تضع بيضها تطير فى الفضاء

فلا ترى صغارها ولايراها صغارها ان كبروا .

— ولماذا تطير الأم ألا يدفعها الحنان الاموى الى احتضانها ؟

— ان نظام الحياة فى قرية النمل يقضى على كل عضو القيام بعمل خاص ، فأذا هى أدت عملها تكون قد استنفدت أغراضها ولذا تطير خوفاً على نفسها من بقية النمل الذى سيقتلها حتما ان وجدها فى القرية .

— ان هذا لأمر عجيب حقاً . وكيف تقول ان النمل يعيش فى مجموعة مثالية فى حين أن النملة التى تلد يحكم عليها بالاعدام . أليست الولادة حقاً معروفاً عند النمل ؟

ملكة النمل

— كلا . فليست الولادة حقاً معروفاً عند النمل ولكنها وظيفة قاصرة على الملكة ، فأذا أدت الملكة هذه الوظيفة ، وغدت فى القرية ملكة جديدة يتحتم على هذه الملكة أن تموت لتتوج نملة اخرى فى مكانها . ولايتعدد وجود الملكات الا فى القرى الكبيرة جداً ، حيث تؤدى كل منها نفس الوظيفة فى حى خاص من أحياء القرية .

فهل نستطيع أن نقسم وظائف النمل فى هذه الأسر بما يشبهها من وظائف البشر فى حياتهم الاجتماعية .

— ان ذلك لامر واضح جداً ، فان النملة التى تخرج مباشرة من القميص بعد ان تجتاز طور الشرنقة تؤدى عادة دور المربية ، ويقتصر هذا العمل على رعاية البيض حتى يصير نملا . فلما تكبر ويقوى جسمها تترك تؤدى أعمالا أخرى .

— وأى عمل آخر تؤديه ؟

— تخرج لاصطياد الطعام ، وليس معنى خروجها أنها تهيم على وجهها لتجد ما تأكله ، ولكن يجب ان تصطاد فوق كفايتها لتطعم كل النمل الذى يسكن داخل القرية من مربيات وعمال وملكة وديدان ، فاذا وجدت ماخرجت له لاتفكر فى نفسها قبل اخوتها ، ولكنها تعود به لتقاسمها فيه .

— هذه ظاهرة غريبة عند الحشرات ، قد لاتوجد عند البشر .

— انها لظاهرة غريبة حقاً ، ولكن اذا عرفنا ان النمل يعمل فى جماعات ، بعضها فى تعبيد الطرق ، وفتح ممرات جديدة ، وبعضها فى اصلاح الأحجار التى تحدث فى القرية والبعض الآخر فى تفتيت ذرات الرمل والتربة — وهذه ما نسميها بجماعة البناء . وليست كل هذه هى فقط الوظائف التى يقوم بها افراد النمل فى جماعات ، ولكن هنالك جماعة

تقوم بعمل الجنود ، ومهمتها حراسة القرية من الأعداء وعلى النمل اطعامها أيضا .

— أين هذه الجنود التى لم ألاحظها ؟

— انها تقف عادة عند باب المستعمرة لتراقب الغرباء والاعداء فلا تسمح لنملة عابرة ، وان كانت من نفس الفصيلة بالدخول .

— وكيف تميز النمل الذى يعيش فى قرية واحدة من نفس الفصيلة بأنه غريب على القرية ؟

— يبدو ان النمل الذى يعيش فى قرية واحدة يتميز عن نوعه فى القرى الأخرى بالرائحة ، وهى الوسيلة الوحيدة التى تساعد الجنود على طرد أوقتل النمل الغريب عندما تشم فيها رائحة مغايرة .

— وكيف تقتل النملة نملة غريبة ؟

— للنملة قوة هائلة فى فكها تساعدها على العض والقتال .

وبعد ان فرغ الأب من حديثه لم يشأ ان يترك لابنه فرصة الاستماع فقط ، ولكنه أراد كعادته أن يستوثق من أنه قد فهم هذا الحديث فهماً صحيحاً ، فطلب اليه ان يلخص له الحياة الاجتماعية عند النمل ، ولكن الابن الذى تزايد اعجابه بالنمل لم يكن اقل من أبيه شغفا فى تتبع أحاديثه وفهمها ، فشرح الى أبيه نظام الحياة الاجتماعية عند النمل شرحاً موجزاً وافياً ، وقسم له وظائف النمل كما شرحت له من فتاشات (للطعام) الى جماعة للبناء وجماعة للتربية وجماعة للحراسة الى ملكة .

فسر ابوه لذلك وأنصرف ليترك ابنه يتابع مشاهدة القرية ليكشف لنفسه عن جديد فيها .

ذهب الابن الى غرفته الخاصة واستلقى على سرير ليستعيد بعض هذه الصور التى شاهدها ، وماهى لحظات قصار حتى ظهرت فكرة ازعجته ، وزادت غيبة ابيه عن المنزل من قلقه ، ولم يهدأ حتى عاد أبوه من عمله ، وقبل ان يأخذ كل قسطه المعتاد من الراحة وجه اليه ابنه هذا السؤال:

— كيف تقول يا ابتى ان فى كل قرية للنمل ملكة واحدة وظيفتها أن تضع البيض ، وتتركه لغيرها لرعايته ، ثم تموت بعد ذلك ، فهل أفهم من ذلك أن فى كل مستعمرة للنمل أنثى واحدة ، وماتبقى بعد ذلك ذكور ؟

فأدرك الوالد حيرة ابنه ، فقال كلا ، فأن فى قرية النمل عدداً من الاناث يفوق الذكور ، ان لم يساوه . ولكن هذه الاناث اذا ماتوجت واحدة منها فأنها هى التى تكون ملكة ، وأما البقية تكون غير صالحة للزواج أو الحمل ولذلك فانها لاتضع بيضا .

— هذا أغرب مايسمع الانسان ، أتصبح الأنثى من النمل ذكراً اذا لم تتوج ملكة ؟

— أظنك لم تفهم ما أقصد اليه — أنا لاأقول انها تصبح ذكراً ، ولكنها تنصرف الى أداء واجبها فى القرية أى تصبح عاملة فقط .

— ان نظام الحياة فى مستعمرة النمل يفترض ان

يكون فيها ذكر واحد وظيفته ان يتزوج الملكة ، فاذا مأدى وظيفته لم تعد لبقائه ضرورة وتكون نهايته كنهاية الملكة .

— وهذا أغرب من سابقاته ، وكيف يتم الزواج بين الملكة وذكر النمل ؟

زواج النمل

— لعلك تدهش حقا اذا علمت ان زواج النمل لايتم الا بعد احتفال عظيم ، وفى اجزاء خاصة من السنة حيث يولد عدد من النمل المجنح . وعندما يكبر هذا النمل المجنح لايستقر فى القرية ولكنه يطير محلقا فى الفضاء فيجتمع عدد كبير من النمل المجنح خارج قراه حيث تبدأ وسائل المعرفة بين سكان مختلف القرى التى من فصيلة واحدة . وهنا يتم الزواج بين أى زوجين من النمل قد توافقا على الزواج ، بقطع النظر عن القرية التى ينتمى اليها كل منهما ، لانه بعد ان يتزاوج الاثنان يترك كل منهما قريته ويبحثان عن قرية جديدة يبتدئان فيها حياتهما الزوجية الجديدة على النظام الذى ستراه بعد .

— وهل تبقى هذه الأجنحة ملازمة للنملة طوال حياتها ؟

— كلا . فان النمل من عادته ألايبقى فى قريته شيئا

لا فائدة فيه ، فاذا انقضت حفلات الزواج لم تعد للاجنحة فائدة ، ولذا تتساقط وتختفى بعد أن تستقر النملةالزوجة فى عرشها الجديد .

— وكيف تبدأ العروس الجديدة حياتها ؟

— عندما يتم الزواج بين ذكر وانثى من النمل تكون نهاية الذكر ، أما ان يموت جوعا اوتخطفه الطيور . أما الملكة فتظل تبحث الى أن تجد مستعمرة بغير ملكة فيتوجها سكانها ملكة عليهم ، ويعكف النمل على خدمتها الى أن تنتهى من القيام بواجبها وهو وضع البيض .

النمل القناصة

والى هنا انتهت مهمة الابن ولم يعد عنده سؤال يستطيع ان يستنتجه من مشاهداته الخاصة ، ولكن أباه لم يكتف بما شرح من دروس عن النمل بالوسائل التى كانت تحت نظره ، بل أراد أن يقص عليه بعض عادات النمل التى لم تتوفر فى قريته المصطنعة ، فذكر لابنه شيئا عن النملة القناصة فهى لاتسير منفردة ولكنها تسير فى جماعات كبيرة ، ولايهمها أن تقيم قرية لاكثر من ثلاثة أوأربعة أيام تنهب فى خلالها كل مايصادفها ، حتى تجدب الارض التى تحل فيها فى هذه المدة الوجيزة . وهى من أعنف أنواع

النمل واشدها عناداً . وهى تخيف الحيوانات الكبيرة والصغيرة على السواء ، متى ظهرت فى غابة ، ولاتختلف عن النمل الذى سبق الحديث عنه الا فى القوة وفقدالبصر .

وتحدث أبوه ايضا عن نمل العسل ، وعن النمل الذى يتخذ من بعض الذباب قطعانا يجد فيها ماتحتاج اليه من طعام عندما تنعدم سبل العيش . وعن النمل الذى يجمع البذور ويحفظها داخل غرف خاصة فى قريته ليقتات منها عند الحاجة .

وهنا بدأت تتشابه صفات النمل مع صفات البشرمن حيث الأساليب المختلفة ، فأراد الابن ان يسأل أباه عن بعض الصفات الرديئة التى ربما تكون عند البشر والنمل فأجابه الأب عن صفتين يشترك فيها الانسان والنمل اشتراكا يكاد يكون متفقا عليه ، وخصوصا اذا رجعنا الى حياة الانسان الباكرة — وهما صفة السرقة وصفة الاستعباد .

فهناك فصيلة من النمل القوى البنية يسكن بالقرب من قرى ضعاف النمل ، وينتظر أوبتها بالطعام الى صغارها فيهاجمها ويأخذه منها ، كما يهاجم فى بعض الاحيان القرى نفسها ، واذا لم يجد فيها مايكفيه من طعام أخذ صغارها غذاء له .

وقد نشأت عن فكرة مهاجمة هذه القرى عادة الاستعباد عند النمل أيضا . لأنها عندما تختطف صغار النمل الضعيفة

تبقى منها بعضها لتقتات به عند الحاجة ولكنها تكلفهـــا القيام ببعض الاعمال الضرورية لها فى الفترة التى تعيشهـا ومن هنا بدأت فكرة أستعبادها .

وتحدث عادة هذه الغارات بين النمل الاحمر والنمل الداكن فى لونه ، الذى يعد مستضعفا .

ثم التفت الأب الى ابنه قائلا :ـــ

انى يابنى قد بسطت اليك قصة النمل ـــ وارجو أن تكون قد أفدت منها درسا ممتعا عن مخلوق تحتقره لغيرما سبب، سوى أنه ضعيف فى نظرك ، وأرجو قبل أن انتهـى من الحديث أن أقول لك : ان هنالك نوعاً من الحشـرات يعيش فى شكل جماعات ، ويعرف عند بعض الناس بالنمل الابيض ، ويعرف عندنا بالأرضة وهى تختلف عن النمـل الذى ربيته فى قريتك فى تركيبه الجسمانى ، ويتفق معـه فى طباعه ، غير أنه لايعمل لكسب قوته وتنظيم حياته الا فى الظلام ، حيث يتوارى فى الخشب فيحدث تلفاً عظيماً لكل شىء يستقر فيه .

ولكن الابن كان يكره الأرضة ولايستطيع سمـاع ذكرها فأستأذن اباه فى الانصراف فأذن له ، وانتهى بذلك الحديث عن النمل .